دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

يوم الخمسين
في التقليد الآبائي

للأب متى المسكين

كتاب: يوم الخمسين في التقليد الآبائي.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ١٩٧٩.
الطبعة الثانية: ١٩٩٢.
الطبعة الثالثة: ٢٠١٢.
مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون.
ص.ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٥٢١٤ / ٠٨٩
رقم الإيداع الدولي: ISNB 977-448-083-X
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

يُطلب من:
دار مجلة مـــــرقس
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا – تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين – محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠
أو من: مكتبة الدير
أو من خلال الموقع على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org

المحتويات

مقدمة ١٣

أولاً: التقليد الآبائي بالنسبة لمركز الروح القدس في الثالوث المقدس ١٥

ثانياً: مركز الروح القدس في الكنيسة ٢٢

أ. سلطان الروح القدس في الكنيسة ٢٥

ب. علاقة الروح القدس بالمسيح في الكنيسة ٢٨

ثالثاً: حلول الروح القدس والشركة في الطبيعة الإلهية ٣١

رابعاً: غاية الحلول وغاية الإشتراك في الطبيعة الإلهية ٣٤

مقدمة

الكنيسة تواجه اليوم تحديات قوية من الداخل والخارج، على المستوى الروحي العملي، ونقصد به الحركات الجديدة المنتمية لنشاط الروح القدس؛ أو العقيدي النظري، ونقصد به التعليم الذى تقدمه الكنيسة الأرثوذكسية للعالم والذى تعيش وتؤمن به من جهة الروح القدس.

والإجابة على التساؤلات أو التحديات لا تكون بالإجتهاد الفكرى الشخصي، لأن المسألة تتعلق بتقليد الكنيسة الذى عاشته منذ بدء وجودها فى أشخاص آبائنا الذين سجلوا لنا هذا التقليد منذ أواخر القرن الأول، أي بعد عصر الأناجيل والرسل مباشرة.

و بالدراسة المنهجية الجادة والتعمق الروحي يرى كل المؤرخين واللاهوتيين التقليديين أن تقليد الكنيسة الأرثوذكسية حي متحرك بنمو يمكن الإمتداد به والإضافة إليه، ولكن لا يمكن الخروج عنه أو البناء على أساس آخر، لذلك فهو ليس جامداً أو ميتاً كما تصفه بعض الطوائف التي تحررت منه كلية فعاشوا تقليدهم الفكرى الخاص الذي يختلف من فرد إلى فرد.

لذلك فالضرورة تحتم علينا أن لا نقول أو نشهد للروح القدس فى حياتنا أو تعليمنا إلا على ضوء التقليد الآبائي، الذي هو بدوره ملتزم في الأساس بكلمة الإنجيل. فتقليد الكنيسة هو الذي يحدد صحة المعنى أو الشرح أو التطبيق، سواء فى اللاهوت العقيدي النظري أو اللاهوت الروحي النسكي العملي. وكل خروج عن خط الآباء العام يخرجنا دون أن ندرى عن **مفهوم** الأرثوذكسية **وعن حياة الكنيسة** التي انصبغت بها ألفي سنة، فسر **الإيمان** الصحيح مرتبط **بفاعليته، والمعرفة** النظرية مرتبطة **بالتطبيق العملي**، وهذا وذاك تسليم من الرب ومن الرسل واستعلان روح الله القدوس الذي

ظهر بتفوق عام شامل وكامل في يوم الخمسين، ولا يزال يغذي الكنيسة و يعلن ذاته في الأفراد.

وهنا في هذا المقال نقدم لمحة سريعة عن موهبة إنسكاب الروح القدس يوم الخمسين في التقليد الآبائي.

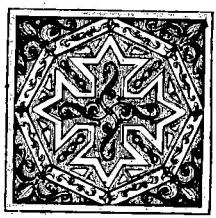

أولاً ــ التقليد الآبائي
بالنسبة لمركز الروح القدس في الثالوث المقدس

إن سر الله العظيم المخفي منذ الدهور ــ سر الثالوث ــ بفاعيله المتعددة للإنسان، انكشف لرسله بحسب شهادة القديس بولس الرسول لعمل يوم الخمسين في الرسل، إذ استُعلن بواسطة الروح القدس، بقوة فائقة وحكمة لا تعانَد، سر المسيح ابن الله الذي جمع فيه الآب كل شيء ما في السموات وما على الأرض، هذا السر الذي ناله أيضاً القديس بولس الرسول بالسويّة كباقي الرسل كامتداد مستمر لعمل يوم الخمسين: «**أنه بإعلان عرّفني بالسر**، الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي **بسر المسيح** الذي في أجيال أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر كما قد أُعلن **الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح (الذين استلموا من الرسل)**: أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل الذي صرت أنا خادماً له **حسب موهبة نعمة الله** المعطاة لي، **حسب فعل قوته**... وأنير الجميع فيما هو «**شركة السر**» المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح، لكي يُعرَّف الآن... **بواسطة الكنيسة** (كيان حي) بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذى صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أف٣: ٢-١١).

وهكذا ينتقل القديس بولس الرسول من الإيمان بالمسيح ــ إبن الله ــ **كسرٍّ كان مكتوماً** في الله في كل الدهور السابقة، إلى أن صار سراً مستعلناً بالروح، وأُعلن جهاراً لرسله القديسين، لكي يستنير به الجميع. ثم يؤكد القديس بولس ذلك مرة أخرى، أن **هذا السر أصبح يخص جميع الأمم** كأمر من الله لإطاعة الإيمان بالمسيح: «وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح **حسب إعلان السر الذي كان مكتوماً** في الأزمنة الأزلية ولكن **أُظهر الآن وأُعلم به جميع الأمم** (منذ يوم الخمسين) بالكتب النبوية **حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان**» (رو١٦: ٢٥، ٢٦).

ولقد ظل هذا السر، سر الآب والإبن والروح القدس، العامل لخلاص كل الشعوب، يُستعلن حسب أمر الإله الأزلي بواسطة الروح القدس الذي انسكب يوم الخمسين ولم ينقطع انسكابه حتى اليوم، وهذا معناه أن الله نفسه ــ بالروح القدس ــ هو الذي يضطلع بإعلان سرّه للأمم بواسطة قديسيه!!

فالإنجيل الذي كتبه الرسل هو «كلمة الله» المقولة بالروح القدس كشهادة مزدوجة، شهادة الله والإنسان «روح الحق يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو١٥: ٢٦)، كذلك التقليد الكنسي بعمقه السري والسرائري بدأ بدوره الفعّال يشرح كلمة الإنجيل و يدبر فعاليتها بالروح القدس نفسه في الأسرار منذ يوم الخمسين حتى اليوم.

* * *

أما التاريخ الفعلي للتقليد الآبائي فيما بعد الرسل فيبدأ منذ عصر «إير ينيئوس» المعتبر «أبو التقليد الكنسي» (آسيا الصغرى). وقد انتقل هذا التقليد بسرعة خاطفة إلى الإسكندرية ــ التي نظن أن تقليدها موروث من الرسل أنفسهم ــ حيث استوطنها بعمق وغنى لا يجارَى، ومن الإسكندرية انتقل إلى سوريا بنفس السرعة ثم آسيا الصغرى مرة أخرى بواسطة الآباء الكبادوكيين.

ولكن من أجل إستفادة القارىء، نود أن نؤكد أن استعلان سر الله في التقليد كان ولا يزال يعتمد جداً، بل يلتزم التزاماً، بحياة تقوية وشركة قوية في المسيح والروح القدس وصلاة وتكريس كلي، وهذا كان متوفراً لدى الآباء، فالتقليد الآبائي هو صنيعة الروح القدس إنما في أواني مهيأة جداً ومعدَّة لعمل الروح القدس بحرية وانقياد سهل، لإستعلان الحق الإلهي الفائق وسر الخلاص المكتوم.

لذلك كم نحتاج إلى تقوى ومحبة واتضاع لكي نستجلي سر الروح القدس وندخل به إلى سر المسيح؟ كما يقول الكتاب: «بنورك يارب نعاين النور» (مز٣٦: ٩)! ولذلك كم يتطلب من الإنسان القداسة حتى بإستعلان المسيح ندرك أعماق الله!!

وفي ذلك يقول القديس **إيرينيئوس:**

[الآب هو الجوهر غير المنظور للابن،
والابن هو الجوهر المنظور للآب] (١).

«الذي رآني فقد رأى الآب» (يو١٤: ٩)، «الروح يعلمكم كل شيء» (يو١٤: ٢٦)!!، فالمسيح الذي هو مركز سر الله للخلاص المكتوم سابقاً هو الذي يضطلع بنفسه بإعلان سر الله: «لكي تتعزى قلوبهم **وهي متحدة في المحبة** لكل غنى **يقين الفهم**، لمعرفة سر الله في الآب وفي المسيح الذي فيه تختبىء كل كنوز الحكمة والمعرفة (كو٢: ٢، ٣ ــ ترجمة عن النص اليوناني).

ولقد اضطلع الروح القدس بكشف أعماق سر الله هذا ــ المكتوم منذ الدهور في المسيح، منذ يوم الخمسين، كاشفاً وشاهداً بكنوز الحكمة والفهم «بكل حكمة وفطنة» المذخرة في المسيح لأجلنا ولخلاص العالم بسرٍّ لا يُنطق به، «أن الأمم شركاء في الميراث والجسد».

هذا الأمر الذي صار فرحاً أبدياً وتهليلاً من كل القلب لدى كل إنسان اقتبل هذا الإستعلان، استعلان سر يوم الخمسين، وتيقّن أنه وارث وشريك في المسيح لله بالروح القدس الذي لا يكف عن الشهادة في الداخل!!

لذلك يتركز التقليد الآبائي بصورة أساسية على أن سر يوم الخمسين هو بدء انكشاف عمل الثالوث الشخصي في الإنسان، بتأكيد الروح القدس و بقوة: أن الإنسان صار بحق و يقين فى شركة الثالوث، شركة حية فعالة مع الآب والإبن والروح القدس، سواء بصبغة المعمودية أو بالحياة اليومية بعمق الصلاة والنسك و يقين الفهم، الأمر الذي يعلق عليه القديس يوحنا الرسول بأنه يكون مصدر فرح أبدي «لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح،

---

(١) ضد الهراطقة ٤: ٥.

ونكتب إليكم هذا لكي يكون **فرحكم كاملاً**» (١يو١ : ٣، ٤).

* * *

وهنا نسرد للقارىء شيئاً من تقليد الآباء عن مركز الروح القدس في الثالوث، حتى لا ينحرف الإنسان نحو التعلق بأقنوم دون باقي الأقانيم!!... يقول القديس **أثناسيوس**:

[ولكي يكمل فيه (أي في المسيح) **كل معرفتنا بالله** و يضع طقس الإنضمام للكنيسة (المعمودية) **التي بها اتحدنا بشخصه و بالآب**، أوصى تلاميذه قائلاً إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم (اصبغوهم) باسم الآب والإبن والروح القدس](٢).

و يلاحظ القارىء أن «**الدعاء بالإسم**» في التقليد الآبائي القديم، هو بمثابة التواجد فى الحضرة الإلهية وهو واسطة للحلول في المعمودية ــ كما في الإفخارستيا و باقي الأسرار ــ وتجده يأتى دائماً باسم الثالوث!!

يقول القديس **أمبروسيوس**:

[لقد ثبت لدينا أن **حضور ونعمة الآب والإبن والروح القدس هو شيء واحد وكيان واحد علوي إلهي**](٣).

يقول العلامة **ديديموس**:

[إن من **تأهل أن يأخذ الروح القدس**، أو **الإبن**، فله **الآب أيضاً**](٤).

يقول القديس **أمبروسيوس**:

[هكذا أيضاً يأتى **الروح القدس الذي فيه ــ عندما يأتي ــ يصير ملء**

---

(٢) القديس أثناسيوس عن الروح القدس ــ الرسالة الأولى: ٦.

(٣) عن الروح القدس ١: ١١: ١٢٥. (٤) عن الثالوث: J. Quasten, Patrology iii, p. 96.

حلول الآب والابن][٥].

[النعمة تفيض من الروح القدس كما تأتي من الآب والإبن، لأنه **كيف تقوم العطية أو النعمة بدون الروح مادامت كل النعم الإلهية كائنة في الروح القدس][٦].**

يقول القديس **كيرلس الأورشليمي:**

[إن النفس التي في الخطيئة حينما تصير بالتوبة **مستحقة للروح القدس** تأتي بأغمار من الثمار؛ فبينما الروح القدس واحد، ولكن كثيرة هي الفضائل التي يعملها **بإرادة الله وباسم يسوع المسيح][٧].**

يقول القديس **أثناسيوس الرسولي:**

[هذه الحقيقة أيضاً تبين أن عمل الثالوث واحد. فالرسول لا يعني أن ما يعطى يعطى بالتجزئة وعلى حدة من كل أقنوم، بل **إن ما يعطى فهو يعطى في الثالوث، وإن كل ما يعطى هو من الله الواحد...** وهكذا نرى أنه عندما يقال **إن الروح القدس في أي واحد فإن هذا معناه أن الكلمة حال فيه مانحاً الروح القدس][٨].**

[وإننا **نصير أبناءً عندما نقبل الروح القدس،** لأن الكتاب يقول: «إذ لم تأخذوا روح العبودية للخوف بل أخذتم روح التبنى»، فإن كنا **بالروح القدس قد صرنا أبناء** فواضح أننا **في المسيح** دُعينا **أولاد الله][٩].**

[وعندما **يعطى لنا الروح القدس، يصبح الله فينا،** لأن يوحنا الرسول كتب: «إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا، بهذا نعرف **أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه»][١٠].**

---

(٥) عن الروح القدس ١١: ١٢٣.
(٦) شرحه ١٢: ١٢٨.
(٧) عظة ١٦: ٤.
(٨) الرسالة الأولى لسيرابيون: ٣١.
(٩) الرسالة الأولى لسيرابيون: ١٩.
(١٠) المرجع السابق.

أما القديس **إيرينيئوس** فيوضح لنا عمل الروح القدس بالنسبة للثالوث هكذا:

[والأبرار يعتادون الشركة في مجد الله الآب و يتمتعون بالشركة مع الملائكة والإتحاد بالكائنات الروحية، **و يرتفعون في الروح إلى الإبن وفي الإبن إلى الآب**](١١).

[الله بواسطة الإبن والروح القدس يرفع الإنسان إليه](١٢).

[رؤية الله تتم بواسطة الروح القدس **بالبنوة**، وتتم بواسطة الإبن **بالتبني**، ولكن **أبوّته** لا تتم رؤيتها إلا في ملكوت السموات. **فالروح يعدُّ الإنسان، والإبن يقوده إلى الآب، أما الآب فإنه يعطي الإنسان عدم الفساد للحياة الأبدية**، وذلك بالتطلع إليه بالحق](١٣).

[أما **رؤية الله** (معرفته بالروح) فهي هي **حياة الإنسان**](١٤).

و يقول القديس **أثناسيوس**:

[هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة لأن الرب أسسها في الثالوث، وأصّلها فيه عندما قال لتلاميذه إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس](١٥).

نستخلص من ذلك:

أولاً ــ أن **الوحدة المتكاملة بين عمل الأقانيم** لخلاص الإنسان متأصلة ومتجذرة وملتزمة بصورة كاملة وأساسية **بوحدانية الله**. فلا يوجد عمل لأقنوم يختص بنفسه فقط خارج أو بدون عمل أقنوم آخر، وإلا ما استطعنا أن نقول إن الأقانيم الثلاثة إله واحد.

ثانياً ــ كذلك لا يمكن فصل عمل أي أقنوم عن الأقنوم ذاته، لأن أساس عمل

---

(11) *Biblical Theology of St. Iren.*, by Lawson, p. 285.

(١٢) المرجع السابق، ص٦.
(١٣) المرجع السابق، ص٢٨٥.
(١٤) ضد المراطقة ٤: ٦: ٥.
(١٥) الرسالة ٣: ٦.

أقنوم الروح القدس مثلاً هو تقديم الإنسان فيه (أي في الروح) أساساً و بالنهاية لأقنوم الإبن ليتحد به، وعمل أقنوم الإبن هو تقديم الإنسان فيه (أي في الإبن) أساساً و بالنهاية لأقنوم الآب ليتحد به. أى لا يوجد عمل للأقانيم خارج هدف الإتحاد بالله. وإلا خرج الخلاص عن مفهومه وغايته النهائية وهو الإتحاد بالله «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكملين إلى واحد» (يو١٧: ٢٣).

وغني عن البيان هنا أن مفهوم الإتحاد أو الشركة في الطبيعة الإلهية أو الأقانيم بالمفهوم الأرثوذكسي، لا يلغي كيان الإنسان أو طبيعته، ولا يرفعه إلى درجة الألوهة، فالإتحاد والشركة هي لاكتساب مواهب وفضائل وإلغاء ضعفات وخطايا «أخذ الذي لنا، وأعطانا الذي له» (التسبحة السنوية، ثيئوطوكية الجمعة)، وليس لإمتلاك طبيعة الله أو أقانيمه، فالله سيظل آخر بالنسبة للإنسان بالرغم من امتلاك الله للإنسان وحلوله فيه، و بالرغم من ملئه للإنسان إلى ملء قامة المسيح «فهو الملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١: ٢٣)، بل و بالرغم من حصول الإنسان بسبب هذا الإتحاد على حالة التبني.

فنحن لا يمكن أن نصير أبناء **إلا في المسيح**، ولا يمكن أن نرث المواعيد **إلا في الروح**.

ولكن لن يستطيع الإنسان مهما أوتي من المواهب والعطايا، ومهما حصل من تبرير وتقديس، أن يستنفذ غنى المسيح في المجد ولا كمال التقديس في الروح. صحيح أننا سنظهر معه في المجد، ولكن كمستضيئين وليس كأصحاب النور، وصحيح «نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله» (١يو٣: ٢)، ولكن لأننا سنراه كما هو فينطبع نور وجهه علينا ونأخذ صورته ومثاله.

ثانياً ــ مركز الروح القدس في الكنيسة

كانت عقيدة الثالوث، كما ذكرنا، موضع عبادة صامتة في الكنيسة منذ البدء، كما يقول القديس **باسيليوس:**

[إجعلوا غير المنطوق به (سر الثالوث) معبوداً في صمت](١٦).

وكانت الكنيسة تُبنى وتنمو بالروح القدس بسرعة وثبات و بساطة فائقة «وأما الكنائس... فكان لها سلام، وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب، **وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر**» (أع٩: ٣١)، لأن التلاميذ الذين اؤتمنوا على إدارة وتدبير شئون الكنيسة كانوا يمتلئون كل يوم من الروح القدس: «**وأما التلاميذ فكانوا يمتلئون من الفرح والروح القدس**» (أع١٣: ٥١).

هذه كانت في الحقيقة الغاية الأساسية والعظمى التي من أجلها أرسل الرب الروح القدس من عند الآب في يوم الخمسين. والمسيح تشدَّد جداً مع التلاميذ في عدم العمل بدون حلول الروح القدس بل وحدَّد إقامتهم وجمَّد حركتهم حتى ينالوا هذه القوة من الأعالي. وبهذا ارتبطت الكنيسة في عملها ونموها وتعليمها وشهادتها بالروح القدس ارتباطاً أبدياً لا يمكن التقليل من قيمته وإلا تجمدت الكنيسة. فبقدر انسكاب هذه القوة من الأعالي بقدر ما يكون نموها وحركتها ونشاطها في الداخل وامتدادها الفعَّال في الخارج حتى «إلى أقصى الأرض».

وقد حدد القديس بولس الرسول مدى الإرتباط الشديد بين الحصول على «قوة **الروح القدس**» و بين **حلول المسيح** في قلوب المؤمنين للحصول على **كل ملء الله**، سواء للأفراد أو للكنيسة كلها في المحبة.

---

(١٦) عن الروح القدس ١٨: ٤٤ (رقم النسخة اليونانية).

ـ «بسبب هذا **أحني ركبتيَّ (طقس السجدة)** لدى أبي ربنا يسوع المسيح لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن **تتأيدوا بالقوة بروحه** في الإنسان الباطن **ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم** وأنتم متأصلون ومتأسسون **في المحبة** حتى تستطيعوا أن تدركوا **مع جميع القديسين** ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة **لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله**» (أف٣: ١٤ــ١٩).

و يلاحظ القارىء في هذه الآيات أن مفتاح كل هذه العطايا وحلول المسيح بالنسبة للفرد والكنيسة للوصول إلى كل ملء الله يتوقف على هذه الحقيقة: «**أن تتأيدوا بالقوة بروحه**»!! وكأنما نحن أمام المسيح مرة أخرى مكرراً تحذيره لتلاميذه: «**فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تُلْبَسوا قوةً من الأعالي**» (لو٢٤: ٤٩).

و بذلك يكشف لنا القديس بولس الرسول عن بقاء وعي الكنيسة صاحياً بالنسبة لمركز الروح القدس في الكنيسة، بل واستطاع ذلك القديس الملتهب بحب الكنيسة والذي أفنى حياته في غرس بذارها أن يربط بخيط ذهبي بديع متنقلاً بين **قوة الروح القدس، إلى حلول المسيح في القلب، إلى تأصل وتأسس الحب الإلهي، إلى عمق وارتفاع الشركة مع القديسين، إلى المعرفة المتعمقة في حب المسيح، إلى بلوغ كل ملء الله!!** واضعاً بذلك أساس بناء الكنيسة في عمق الثالوث ولكن مبتدئاً **بقوة الروح القدس!!**

هنا يظهر لنا أصل التقليد من جهة مركز الروح القدس في الثالوث، ثم مركز الثالوث في الكنيسة، ومركز الكنيسة في شركة القديسين المتأسسة على الحب الإلهي.
في الحقيقة هذا يُحسب منتهى التكامل العقيدي في العبادة بحسب التقليد الآبائي.

[لقد أسس كنيسته على الأنهار إذ **جعلها بتدبيره الإلهي قادرة أن تأخذ الروح القدس** الذي منه تفيض النعم كما من رأس الينبوع حيث تخرج أنهار مياه حية](١٧). **العلامة ديديموس** (على المزامير).

---

(17) Quasten iii, 97.

[العالم هو البحر الذي تمخر فيه الكنيسة كسفينة تلاطم الأعماق ولكنها لن تتحطم، لأنها تحمل ربانها الماهر المسيح، **أما شراعها الفاخر فهو الروح القدس**](١٨).

العلامة هيبوليتس

وفي اللاهوت النسكي اعتاد التقليد أن يشير إلى أن الشراع في السفينة هو عمل نعمة الروح القدس المجاني، وأن المجاذيف هي بمثابة الأعمال والجهادات والإماتات.

(18) Quasten ii, 203.

أ ــ سلطان الروح القدس في الكنيسة

الكنيسة باعتبارها جسد المسيح، وقد أوجدها بموته وقيامته، سلَّمها للروح القدس ليملأها بالمواهب اللازمة لنموها وتكميلها ثم استعلانها، وأيضاً لكي يظل الرب يدبرها بنفسه كرأس لها، بواسطة عمل الروح القدس في الأفراد ليكونوا جسداً واحداً وروحاً واحداً، ولكن بمواهب متعددة جداً حتى تبلغ إلى قامة ملء المسيح.

ولكن بوجود الرئاسات الكهنوتية نشأت مشكلة ظلت تحتاج في كل العصور إلى تحديد عمل الروح القدس تحديداً قانونياً. فهل تُعتبر الكنيسة، باعتبارها صاحبة السلطان الذي أخذته من الرب ومن الروح القدس، خاضعة لنعمة وسلطان الروح القدس؟...

أم أن نعمة وسلطان الروح القدس أصبح خاضعاً لسلطان الرئاسات الكهنوتية؟

لقد أجابت الكنيسة ــ عملياً ــ خلال العصور المظلمة بالحل الثاني، ولكن الأساس التقليدي الراسخ كان قد تقرر منذ زمان المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية حينما أعلن الإيمان بالروح القدس أنه «**رب**»، وأنه بحسب الكتاب هو المضطلع دائماً بتعليم الحق في الكنيسة فيما يخص كل شيء قاله المسيح وكل شيء جديد لم يقله المسيح «ويخبركم بأمور آتية» (يو١٦: ١٣) وذلك لأنبيائها وقديسيها والمختارين أيضاً.

يقول القديس غريغوريوس النزينزي:

[إن مخلصنا قال إن له أشياء أخرى يد أن يقولها ولكنه قال إن تلاميذه آنئذ لا يستطيعون أن يحتملوها... لذلك بقيت هذه الأشياء مخفية، ولكنه عاد فقال إن **كل الأشياء ستعلَّم لهم بواسطة الروح عندما يأتي ويحل بيننا**](١٩).

[الروح القدس نفسه يسكن بيننا ويمدنا بإيضاحات وافية عن شخصه](٢٠).

القديس غريغوريوس النزينزي

---

(١٩) عظة على الروح القدس ٥: ٢٧.

(٢٠) المرجع السابق ٥: ٢٦.

و يقول القديس **يوحنا ذهبي الفم:**

[وبحلول الروح القدس يتم التقديس الذي من خلاله **يصبح الله نفسه هو الذي يباشر سلطانه على المختارين والذين أقامهم مدبرين من شعبه**](٢١).

أما القديس **كيرلس الكبير** فيقول:

[لأن الرب الإله أمر موسى الحكيم أن يختار سبعين شيخاً من جماعة اليهود، وصرَّح علانية: «سوف آخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم» (عد١١: ١٧). وأطاع موسى وأحضرهم إلى خيمة الإجتماع (عد١١: ٢٤)، إلا رجلان تخلَّفا عن الحضور ومكثا في المحلة وهما ألداد وميداد، لكن الله وضع عليهم الروح الإلهي كما وعد، وأخذ الكل النعمة... الذين كانوا في خيمة الإجتماع مع موسى وكذلك الإثنان اللذان تخلفا، الكل تنبأوا. وفي الحقيقة إن الرجلين اللذين تخلفا تنبآ ونالا النعمة من فوق قبل الباقين. إلا أن يشوع بن نون الذي كان يلازم موسى دائماً والذي لم يفهم معنى السر، ظن أن الرجلين ألداد وميداد يمهدان لانقسام مماثل لما صنعه «داثان وأبيرام». ولذلك أسرع إلى موسى قائلاً: «ياسيدي موسى اردعهما» (عد١١: ٢٨). ولكن بماذا أجاب ذلك الرجل العظيم والحكيم الذي رأى بحكمته أن النعمة من فوق وأنهما قد نالا معاً قوة الروح القدس؟... «هل تغار أنت لي؟ ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذ جعل الرب روحه عليهم» (عد١١: ٢٩). ولاحظ كيف ينتهر يشوع الذي لم يعرف ماذا حدث. كان موسى يتمنى أن يعطى الروح للشعب كله، ولكن هذا كان سيحدث في الوقت المعين عندما يمنح الرب المسيح للكل الروح القدس](٢٢).

و يستخدم القديس **كيرلس الأورشليمي** هذه الواقعة بعينها ثم يزيد عليها بعض

---

(٢١) عظة على يوم الخمسين: النسخة اليونانية: P.G. I. 459 d

(٢٢) تفسير إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٢، ٢٣.

الكلمات لإثبات حرية سلطان الروح القدس في العمل بوضع اليد فوق تصور الإنسان:

[فبعدما اختير السبعون شيخاً، أتى الرب في السحابة وأخذ من الروح الذي على موسى ووضع على السبعين شيخاً (من خلال طقس وضع يد موسى عليهم ــعد ١١: ٢٤، ٢٥). لم ينقسم الروح، ولكن نعمته توزعت على قدر الأوعية وطاقة الآخذين، ولكن كان الموجودون ثمانية وستين فقط فتنبأوا، وكان ألداد وميداد غائبين، **فلكي يظهر أنه ليس موسى الذي كان يمنح العطية، ولكن الروح هو الذي كان يعمل ذلك، تنبأ في الحال ألداد وميداد مع أنهما لم يكونا حاضرين مع الشيوخ**](٢٣).

(٢٣) للموعوظين ١٦: ٢٥.

ب ــ علاقة الروح القدس بالمسيح في الكنيسة

لقد أشار القديس بولس الرسول في أماكن عديدة إلى العلاقة الوثيقة بين عمل الروح القدس وعمل المسيح في الكنيسة. فهو يقول: «وليس أحد يقدر أن يقول إن المسيح رب إلا بالروح القدس» (١كو١٢: ٣). وأيضاً «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذاك ليس له» (رو٨: ٩). وقوله «ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب» (غل٤: ٦).

وهكذا يتحقق أن الروح القدس يعمل في الأشخاص وفي الكنيسة لاستعلان المسيح ووجوده، أي يحقق فينا موته وقيامته وحياته بل ومجده أيضاً «ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يو١٦: ١٤).

[قد وعد المسيح أن يأتي بنفسه، فكشف بذلك عن أن **الروح القدس لم يكن مجيئه لشيء آخر سوى تحقيق وجوده هو شخصياً**](٢٤).

القديس كيرلس الكبير

يقول القديس **باسيليوس**:

[عن مجيء المسيح؟ **فالروح هو السابق!**

عن الحضور بالتجسد؟ **فالروح لا يفارق!**

عن عمل المعجزات ومواهب الشفاء؟ **فكله بالروح القدس!**

عن إخراج الشياطين؟ **فبروح الله!**

عن مغفرة الخطايا؟ **فيعطيها الروح القدس** «لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا» (١كو٦: ١١)](٢٥).

وهكذا نستطيع أن نتحقق بوضوح أن عطية الروح القدس يوم الخمسين

---

(٢٤) وردت عن «هوسكن» في شرحه لإنجيل يوحنا (سنة ١٩٤٠)، ص٥٤٠.

(٢٥) عن الروح القدس ١٩: ٤٩.

كانت بالنسبة للكنيسة ــ بحسب تقليد الآباء ــ بداية حضور المسيح السري في الكنيسة، حيث بدأ يمارس وجوده كرأس للكنيسة، التي هي جسده يدبرها بنفسه من خلال عمل الروح القدس حيث يجمع أعضاءه و يوحدهم ويحركهم بالروح القدس:

[أينما وُجدت الكنيسة وُجد الروح القدس، وأينما وُجد الروح القدس وُجدت الكنيسة] (٢٦).

القديس ايرينئوس

[و بقدر ما توجد الكنيسة، وحيثما توجد أسرار الرب بقدر ما يتعطف و يتفضل بالحضور] (٢٧).

القديس أمبروسيوس

[لأنه لا يمكن أن يكون الروح القدس موجوداً ولا يكون المسيح نفسه أيضاً موجوداً] (٢٨).

القديس يوحنا ذهبي الفم

كذلك فالقديس أثناسيوس يربط بشدة بين التجسد وإرسال الروح القدس معتبراً يوم الخمسين أو الحصول على الروح القدس غاية التجسد:

[الكلمة أخذ جسداً لكي نأخذ الروح] (*).

القديس أثناسيوس الرسولي

ولكن الذي نريد أن ننقله للقارىء ليس منطوق تقليد الآباء من جهة علاقة الروح القدس بالمسيح، بل بالحري روح الآباء نفسه، لأن الآباء كتبوا وشرحوا إيمانهم الذي كانوا يعيشونه بالروح، فلولا أنه كانت لهم علاقة حية بالروح القدس، ولولا أنهم نالوا بالفعل قوة الروح القدس، ما استطاعوا أن يواجهوا تحديات عصرهم بإيمانهم

---

(٢٦) ضد الهراطقة ٣: ٢٤١.

(٢٧) عن الأسرار، الفصل الخامس.

(٢٨) على رسالة رومية: عظة ١٣، ص٤٣٦.

(*) P.G. xxvi, 996 c.

بالمسيح الذي أعلنوه أمام ملوك وقضاة تحت تهديد الموت.

لأنه بمجرد أن تسري قوة الروح القدس في داخل الإنسان الباطن يتأيد الإنسان بمعونة فائقة، ويحس بنار تتأجج في صدره من أجل الشهادة للمسيح وإعلان مجده، لأن هذه تكون شهادة الروح القدس نفسه للمسيح داخلنا.

إذن فالمسألة ليست دراسة عن أقوال آباء أو عن تقليد قديم لا وجود له، بل نحن نكتب عن تقليد مهيأ للممارسة، وروح مستعد للإنسكاب.

[فأجسادنا التي من الطين **إذا التهبت بحرارة ونعمة الروح القدس تشهد لآلام الرب يسوع وتعترف جهراً بالإيمان به... هذا بلا شك هو الروح القدس الذي يُدعى ناراً** كما يدعى نوراً](٢٩).

القديس أمبروسيوس

يقول القديس **غريغوريوس النزينزي:**

[الروح القدس هو الذي يكملنا لكي نأخذ المعمودية، ولكن بعد المعمودية نطلبه كعطية قائمة بذاتها](٣٠).

●□●□●

---

(٢٩) عن الروح القدس ١٤: ١٦٦.

(٣٠) عن الروح القدس: ٢٩.

ثالثاً ــ حلول الروح القدس والشركة في الطبيعة الإلهية

لا يفرق التقليد الآبائي بين الأقانيم بالنسبة للحلول.

[وهكذا نرى أنه **عندما يُقال أن الروح القدس في أي واحد، فإن هذا يعني أن الكلمة حالٌّ فيه مانحاً الروح القدس**](٣١).

القديس أثناسيوس

[لأننا **إذ تكون لنا شركة في الروح القدس تكون لنا نعمة الكلمة، وتكون لنا أيضاً محبة الآب في الكلمة، وكما أن نعمة الثالوث واحدة هكذا أيضاً لا يمكن أن يتجزأ الثالوث**](٣٢).

[**وعندما يكون الروح القدس فينا، يكون فينا أيضاً الكلمة الذي يمنح الروح القدس، والآب الذي هو في الكلمة**، وهذا يتفق مع ما قيل: «إليه نأتي (أنا والآب) وعنده نصنع منزلاً» (يو١٤: ٢٣)، لأنه **حيث وُجد النور وُجد أيضاً الشعاع، وحيث وُجد الشعاع وجد أيضاً نشاطه ووُجدت نعمته الخافقة**، هذا ما نادى به أيضاً الرسول عندما كتب لأهل كورنثوس: «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم» (٢ كو١٣: ١٤)؛ لأن النعمة والموهبة التي تُمنح، **إنما تمنح في الثالوث** من الآب والإبن في الروح القدس](٣٣).

القديس أثناسيوس

---

(٣١) الرسالة الأولى عن الروح القدس: ٣١.
(٣٢) الرسالة الثالثة: ٥.
(٣٣) الرسالة الأولى: ٣٠.

[ومنذ حلوله يوم الخمسين ــ لم يعد حلوله بالقوة ἐνεργείαν ولكن ربما نستطيع أن نقول جوهرياً οὐσιωδῶς مؤلفاً معنا وساكناً فينا] (٣٤).

القديس غريغوريوس النزينزي

[لأن **الإيمان بالثالوث** ــ الذي سُلم إلينا ــ **يُتحِدنا بالله**] (٣٥).

القديس أثناسيوس

[ولقد تحدث المسيح مع تلاميذه كثيراً بخصوص الروح القدس حتى لا يتصوروا أنه مجرد فعل أو قوة غير شخصية = ἐνεργείαν ἀνυπόστατον] (٣٦).

القديس يوحنا ذهبي الفم

و يعود التقليد و يؤكد في مواضع كثيرة عن أن حلول الروح القدس يعطي الإنسان شركة في الطبيعة الإلهية.

[وإن كنا **بالإشتراك في الروح القدس نصبح «شركاء الطبيعة الإلهية»... لأن الذين فيهم الروح القدس تصبح لهم الطبيعة الإلهية** على هذا الأساس. وإن كان **الروح القدس يجعل الناس شركاء الطبيعة الإلهية** فلا شك أن طبيعته طبيعة إلهية] (٣٧).

القديس أثناسيوس

[وجعل البشر **يأخذون من طبيعته بالإشتراك في الروح القدس، وبهذه الصورة قدَّس الطبيعة الإنسانية** بالقوة والمجد اللذين هما فوق الطبيعة الإنسانية، ولا يوجد أدنى انحراف أو ابتعاد عن الحق فيما ذكرته] (٣٨).

القديس كيرلس الكبير

[وعندما نفخ فيهم وقال: **«إقبلوا الروح القدس» جعلهم شركاء في**

(٣٤) عن يوم الخمسين: ١١. P.G. 36, 444 C.

(٣٥) الرسالة الأولى: ٣٠.

(٣٦) على سفر الأعمال: ٧.

(٣٧) الرسالة الأولى: ٢٤.

(٣٨) شرح إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٢ــ٢٣.

طبيعته ومنحهم سكنى الروح القدس، وجعلهم أيضاً شركاء في مجده بإعطائهم القوة لحل وربط الخطايا] (٣٩).

القديس كيرلس الكبير

[هكذا أيضاً تنسكب محبة الله في قلوبنا **بالروح القدس حتى لا نظن أنه مجرد عمل أو فعل**، لأنه **هو** الذي يعطي **وهو** الينبوع الغني بالحب الإلهي. ولكي ندرك على وجه التحقيق أن هذا الذي ينسكب لا يمكن أن يكون من صفات الخليقة بل **من خصائص الطبيعة الإلهية**] (٤٠).

[**بالروح نقتني صورة الله وننمو إلى مشابهته، وبالروح كما يقول معلمنا بطرس ـ نصير شركاء الطبيعة الإلهية**، وهذه الشركة لا تعطينا ميراثاً جسدياً، **بل تلك الرابطة الروحية في نعمة التبني**] (٤١).

القديس أمبروسيوس

(٣٩) شرح إنجيل لوقا ٥: ٢٣.

(٤٠) على الروح القدس ٨: ٩٤، ٩٥.

(٤١) المرجع السابق ٦: ٨٠.

رابعاً ــ غاية الحلول وغاية الإشتراك في الطبيعة الإلهية

مرة أخرى نشير إلى أن معنى الحلول ومعنى الإشتراك في الطبيعة الإلهية لا يفيد قط أن الإنسان يصير صاحباً أو مالكاً للطبيعة الإلهية أو يخرج عن جوهر إنسانيته، ولكن يتركز ــ حسب التقليد الآبائي ــ في استرداد صورة الله ومثاله التي كانت فيه سابقاً والتي فقدها الإنسان بالسقوط. فمعنى أن الإنسان صار شريكاً في الطبيعة الإلهية هو بالتحديد القاطع، حسب قول الآباء، أنه استعاد صورة الله ومثاله وحصل على مشيئة الله في أعماقه «لتكن مشيئتك».

يقول القديس **أمبروسيوس**:

[الذي ينال الروح القدس يمتلىء من مشيئة الله](٤٢).

وصار بذلك إبناً بالتبني في شخص يسوع المسيح. فالإنسان سيظل هو الإنسان، العبد المتبنّى، صاحب الطبيعة الساقطة التي استعادت صورة مجد الله في المسيح «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو١٧: ٢٢)، واستعادت حياتها الأبدية بقيامة المسيح وشركة الروح القدس.

ولكن كل ما نتوسل إليه ونرجوه من هذا الكتاب، أن لا يظن أحد أن الإتحاد بالمسيح في الروح القدس والشركة في الطبيعة الإلهية هي مجرد نظرية إيمان وعقيدة أو موضوع تأمل، ولكنها حقيقة تُعاش، وتغيّر حقيقي يشمل كيان الإنسان، وشركة حقيقية مع الرب ومع الروح، لها برهانها ولها مفاعيلها ولها حبها المتأجج ولهيبها الذي يجعل الإنسان لا يهدأ عن التسبيح والحمد والشهادة ليل نهار بفرح لا يُنطق به، لأن حياةً حقيقية ومحبةً إلهية تنسكب في قلب الإنسان، فهو إتحاد حقيقي، واستعادة صادقة لصورة القداسة الإلهية التي فقدناها، ولكن لا يستطيع إنسان في الوجود أن يستنفذ غنى

---

(٤٢) المرجع السابق ٧: ٨٩.

المسيح هذا ولا قداسة الروح، فالإنسان سيظل آخذاً والله سيظل معطياً إلى أبد الآبدين.

ولقد اختارت الكنيسة أن يكون التعييد لحلول الروح القدس يوم الخمسين ــ طلباً لاستمرار حلوله ودوام عمله ــ **بالسجود إلى الأرض ــ بدعاء نحو الأقانيم الثلاثة ــ** لذلك سمي الطقس بأكمله طقس السجدة، فليس من طريق آخر للدخول إلى الثالوث من أجل انسكاب الروح إلا **من خلال الإتضاع** والإنسحاق **مع الرغبة الشديدة** في إقتناء هذه العطية الثمينة، **بالصلاة الحارة، والمحبة الملتهبة**، ليكون هذا تعبيراً صادقاً من طرف الإنسان عن استعداده **لقبول المواعيد العظمى والثمينة!!**

وكأنما بهذا يعود الإنسان باللاوعي إلى خلقته الترابية الأولى ساجداً بين يدي الله (الثالوث) ليتلقى تجديداً للنفخة الأولى بالروح القدس ليستعيد ما فقده:

[الله الآب بواسطة الإبن والروح القدس جبل الإنسان على صورة الله... فالإنسان الكامل يتكون من شركة واتحاد النفس التي تقبّلت «روح الآب» مع الجسد الذي صُنع أيضاً على مثال الله، فالإنسان يصير كاملاً **روحانياً بسبب إنسكاب «الروح» (روح الله) فيه فيكون على صورة الله ومثاله، فإذا فقدت النفس «الروح» (روح الله) يصير مخلوقاً غير كامل كطبيعة الحيوان يحمل صورة الله ولكنه يكون فاقداً المشابهة والمثال اللذين يعطيهما الروح]** (٤٣).

القديس إيرينيئوس

[فإن كان بنفخة الله قد حصلنا في البدء على صورة الله ومثاله التي تتكلم عنها الأسفار، ثم بالخطيئة فقدناها، ولكن الآن ــ بعد المعمودية ــ قد صرنا كما كنا عندما خُلقنا أولاً بلا خطيئة ولنا سلطان على أنفسنا] (٤٤).

العلامة ديديموس

---

(٤٣) مجموعة الآباء ٥و٦و١.

(٤٤) عن الثالوث: Quasten, op. cit. 3, p. 98.

[ولكي نعلم أنه هو **هو الذي في البدء خلقنا وختمنا بالروح القدس**، لذلك يمنح مخلصنا الروح القدس من خلال العلامة المنظورة، أي «النفخة» للرسل القديسين، لأنهم باكورة الطبيعة البشرية المجددة، وكما كتب موسى عن الخلق الأول أن الله نفخ في أنف الإنسان نسمة الحياة، يحدث نفس الشيء الذي حدث في البدء عندما يجدد الله الإنسان، **وكما خُلق الإنسان في البدء على صورة خالقه، كذلك الآن بالإشتراك في الروح القدس يتغير إلى صورة خالقه ويصبح على مثاله**، ولا يوجد لدينا أدنى شك في أن **الروح القدس هو الذي يختم صورة المخلص على قلوب الذين يقبلون المخلص:** «ياأولادي الذين أتمخض بهم إلى أن يتصور المسيح فيكم» وهو يقول أن **المسيح لن يتصور فيهم إلا بالإشتراك بالروح القدس**](٤٥).

القديس كيرلس الكبير

[إذن فقد خُتمنا بروح الله «الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا...» (أف ١: ١٣، ١٤)، فنحن **نُختم بالروح لكي نقتني بهاءه وصورته ونعمته... حتى يصور الروح القدس فينا مشابهة الصورة الإلهية**](٤٦).

القديس أمبروسيوس

وهذا التقليد الراسخ عند الآباء في كيفية استرجاع صورة الله ومثاله بالروح القدس متأسس أصلاً على الكتاب المقدس الذي فيه يقول القديس بولس الرسول: «وحيث روح الرب فهناك حرية، ونحن جميعاً **ناظرين مجد الرب** بوجه مكشوف (أي بدون برقع الناموس الذي كان يخفي نور وجه الله) كما في مرآة **نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها** (صورة مجد وجه الرب) **من مجد إلى مجد كما من الرب الروح**» (٢كو٣: ١٨).

ولكن في التقليد الآبائي لا تُفهم كلمة «**ناظرين... نتغيَّر**» بمعناها اليوناني

---

(٤٥) على إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٢، ٢٣.

(٤٦) على الروح القدس ٦: ٧٩.

الفلسفي، أي **بواسطة التأمل في الله نتغيَّر** إلى تلك الصورة، لأن هذا منهج التأمل الأفلاطوني الجامد Static ، ولكن يأخذها التقليد الكنسي بمعناها القديم الكتابي المتوارث: «فقال **وجهي يسير فأريحك**، فقال موسى له إن لم **يسر «وجهك» فلا تصعدنا من هنا، فإنه بماذا يُعلَم أني وجدت نعمة** في عينيك أنا وشعبك؟ أليس بمسيرك معنا» (خر٣٣: ١٤ــ١٦).

هنا التطلع إلى وجه الله يلازمه مسيرة وحركة مع قيادة النعمة، العبادة هنا عمل وجهد وتغيُّر Dynamic بقيادة الله.

إذن، فالنظر إلى مجد الرب والتغير إلى صورته بعينها من مجد إلى مجد، هي باقتفاء أثر نور مجد وجه الرب بالعمل حسب الإنجيل وبقيادة الروح، بالتغير «**تغيروا عن شكلكم** بتجديد أذهانكم» (رو١٢: ٢)، وبالخلع واللبس المستمر: «خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي **يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه**» (كو٣: ٩، ١٠)، «أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد **المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق**» (أف٤: ٢٢ــ٢٤).

وهكذا يسير التقليد الآبائي على منهج الإنجيل بدقة ووضوح من جهة عمل الروح القدس في الطبيعة البشرية لإسترجاع صورة الله ومثاله:

[وعندما يوجد الروح القدس فإنه **يحوِّل جبلة الناس من طين إلى ذهب** (كناية عن قداسة السمائي)] (٤٧).

القديس يوحنا ذهبي الفم

[لأن الروح القدس لا ينتقل من مكان لمكان، بل يتحرك من التزام المشيئة لتأمين الخلاص والفداء، **من نعمة إعطاء الحياة إلى نعمة التقديس، لكي**

---

(٤٧) على رسالة رومية عظة ٤.

ينقلنا من طبيعة التراب إلى السماء، من الشقاء إلى المجد، ومن العبودية إلى الملوكية] (٤٨).

القديس أمبروسيوس

ولقد استقبل النساك هذه المبادىء الإيمانية بحرارة وجدية، و يكفي للتدليل على ذلك ما سجله القديس **أنطونيوس** عن علاقته الشخصية بالروح القدس وحماسه البالغ في توصيل هذه الخبرة الفائقة:

[الروح الناري الذي قبلته أنا، اقبلوه أنتم أيضاً] (٤٩).

و يعلق أنبا **تادرس** تلميذ أنبا **باخوم** على موهبة اقتناء الروح القدس بقوله:

[ماذا يكون أعظم من أن يقتني الإنسان الروح القدس] (٥٠).

ولقد كانت مفاعيل الروح القدس في حياة الآباء وتصرفاتهم كلها معجزات تفوق الوصف، ولكن لإتضاع الآباء وحيائهم الشديد كانوا يخفون مواهبهم، ولكن كثيرين منهم لم يستطيعوا أن يخفوا نور الروح القدس الذي كان يشع حتى من وجوههم وأجسادهم. ومعروف بالتحقيق أن الآب أرسانيوس كان وجهه أثناء الصلاة «يتقد كالنار» بشهادة تلميذه، وكذلك الأب «پامو» والأب «شيشوي» والأب «سلوانس»، وهذه إشارة مبدعة أخذها الآباء اللاهوتيون كبرهان لما هو عتيد أن تقوم عليه أجساد القديسين في المجد العتيد أن يستعلن فيهم.

ولهذا يتوسل إلينا القديس بولس الرسول من جهة هذا الأمر «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن **تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله**» (رو١٢: ١).

وعن هذه الحقيقة يقول القديس **مقاريوس الكبير:**

---

(٤٨) على الروح القدس ١١: ١٢٢.

(٤٩) الرسالة الثامنة.

(٥٠) حياة أنبا باخوميوس.

[وفي القيامة العتيدة سينبعث الروح القدس من الداخل ليغطي أجساد القديسين و يزينها بالمجد الذي كان فيهم سابقاً، وإنما كان مخفياً فيهم داخل نفوسهم، فما يحصل عليه الإنسان الآن (من مجد الروح) سيصير ظاهراً في الجسد هناك (في القيامة)](٥١).

ولكن الآباء لم يتفاخروا قط بما نالوه من مجد داخلي (*) أو خارجي، سواء في أرواحهم من الداخل أو في أجسادهم من الخارج، بل بالحري كان يتقد الروح القدس فيهم من جهة تأليم أجسادهم ونفوسهم بحمل أثقال الضعفاء والمرضى. ولا يمكن أن ننسى الأب «أغاثون» الذي كان يشتهي شهوة أن يأخذ جسد إنسان مجذم و يعطيه جسده، وقد اختبر الله نيته بالفعل في هذا الأمر فوجدها صادقة(٥٢).

لقد كان الروح القدس هو حياة الآباء وهو الناطق فيهم وهذا هو ما نعنيه من كلمة التقليد. □

(٥١) عظة ٥: ١٩.

(*) نسمع اليوم بافتخار بعض الأخوة بما نالوه من مواهب بشيء من التعالي المستتر وراء تمجيد الله، وهذا يُحسب في التقليد الآبائي نقيصة، وفي منهج الإنجيل غباوة روحية، وقد فعلها بولس الرسول مرة تحت الإلتزام ثم ندم عليها: «قد صرت غبياً وأنا أفتخر، أنتم ألزمتموني» (٢كو١٢: ١١).

(٥٢) أقوال الآباء P.G. ٦٥: أغاثون: ٢٦.